الربط والترابط المعنوي في القرآن الكريم (سورة البقرة أنموذجا)

The Connectivity and semantic coherence in the Holy Quran - Surah Al-Baqarah as an Example

إعداد: الدكتور/ غازي جاسم آل مشهد

دكتوراه النحو والصرف وعلم اللغة، جامعة الملك فيصل، المملكة العربية السعودية

Email: ghazi.mashhad@hotmail.com

الملخص

يمثّل الترابط في القرآن الكريم إشكالية مهمّة لدى الباحثين فيه، فقد أولوا عناية كبيرة بما يتعلّق بالوصل بين الآيات، فاشتغلوا على أبعاد لغوية مختلفة فيما يرتبط بذلك، فكان البعد النحوي من جهة، والبعد البلاغي من جهة أخرى، وتم تقديم نماذج عديدة لآيات القرآن، وعالجوها ضمن سياقاتها المختلفة، وحاولوا تقديم صورة الترابط والانسجام فيها.

وتدّعي هذه الدراسة، أنّ محاولاتهم لا تتعدّى دراسة آيات محددة أو بعض أجزاء للسورة الواحدة، حيث تبحث هذه الآية أو تلك الآيات -في الغالب- مستقلة دون النظر إلى سياق السورة ككل متكامل مرتبط بجميع آياتها، وتحاول هذه الدراسة أن تقدّم أنموذجا مختلفا عما هو سائد في هذا المجال، وجاءت الدراسة بعنوان (الربط والترابط المعنوي في القرآن الكريم- سورة البقرة أنموذجا)، وتم اتخاذ سورة البقرة أنموذجا لهذه الدراسة؛ لطولها ولما فيها من تعدد للمواضيع، وسنبدأ في هذه الدراسة بمقدمة عامة حول موضوع الترابط، ثم سنعمد إلى معالجة بعض النماذج لإثبات الترابط في السورة، وسنحاول أن نرى مدى انسجام الآيات مع بعضها من بداية السورة إلى آخرها، مع طول آياتها وتعدد مواضيعها، وسنحاول مطالعة أثر ذلك الترابط في كونه يسهم في إيضاح المعنى المقصود للمخاطب، وسنقوم باستكشاف بعض الألفاظ أو المواضيع المختلفة في السورة ضمن إطار المعنى، وما أثر انتشارها على موضوع الترابط للسورة ككل متكامل.

الكلمات المفتاحية: الربط، الترابط، الكتاب، الإيمان، الصلاة، النعمة

The Connectivity and semantic coherence in the Holy Quran - Surah Al-Baqarah as an Example

Abstract

The coherence in the Holy Quran represents an important issue for researchers. They have devoted significant attention to the relationship between verses, exploring various linguistic and rhetorical dimensions related to it. This involves the grammatical aspect on one hand, and the rhetorical aspect on the other. Numerous models have been proposed to analyze the Quranic verses within their different contexts, aiming to present a comprehensive understanding of their connectivity and harmony.

Their attempts were often limited to studying specific verses or parts of a single Surah. The majority of these studies focused on certain verses, independent of considering the context of the Surah as a whole, which is a complete and interconnected entity comprising all of its verses. This study presents a different model from what is commonly found in the field, aiming to overcome these limitations. The study titled: "The Connectivity and semantic coherence in the Holy Quran - Surah Al-Baqarah as an Example"

Surah Al-Baqarah was chosen as the model for this study due to its length and the diversity of its topics. In This study, we will begin with a general introduction to the concept of coherence, followed by an examination of specific models to demonstrate the connectivity within the Surah. The goal is to explore how the verses in Surah Al-Baqarah harmoniously relate to one another from the beginning to the end, considering the length of the verses and the multitude of topics discussed. The purpose of the study is to investigate how this interconnection contributes to clarifying the intended meaning for the addressee. Moreover, we will explore the impact of the spread of certain words or themes within the Surah on the overall coherence of the Surah as a whole

Keywords: The Connectivity, semantic coherence, Book, Faith, Prayer, Grace

1. المقدمة:

يذكر علماء اللغة ضمن المقاربات النحوية، أن الربط في الجمل بنوعيها الاسمية والفعلية، يقوم على الإسناد، حيث تتكوّن كل الجمل من أحد تركيبين؛ أما الأول فهو المتكوّن من المبتدأ والخبر، حيث لا يستغني أحدهما عن الآخر، فعندما يكون مبتدأ، لابد من خبر، فيُسند الخبر إلى المبتدأ، والثاني هو الفعل والفاعل، فعندما يكون فعل تام مبني للمعلوم، فلابد من فاعل، حيث يسند الفعل للفاعل[1]، وهذا ربط أساس للجملة في إنتاج معنى ما.

وقد أُشتغل على الأدوات التي تعمل على الربط في الجملة الواحدة وذلك عندما يكون فيها أكثر من العمدة التي تقوم عليها، أي عندما يكون في الجملة الاسمية أكثر من المبتدأ والخبر، وعندما يكون في الجملة الفعلية أكثر من الفعل والفاعل، إذ قد تحتاج هذه الجملة أو تلك إلى ربط لتؤدي المعنى المقصود، فمثلا حين يُقال: جاء محمد وسالم، فإن (جاء محمد) مسند ومسند إليه، ولكن لن يكتمل المعنى المطلوب؛ لأن (سالم) جاء أيضا، ولكي نذكر (سالم) فلابد من رابط، كأن يكون حرف (الواو)، وإذا كانت هناك حاجة للربط في الجملة الواحدة، فكذلك يمكن أن تكون الحاجة للربط بين الجمل المتعددة.

هناك العديد من الروابط التي قد تُستخدم في الجملة الواحدة أو تستخدم للربط بين العديد من الجمل، ومن ذلك حروف العطف مثل: الواو، ثم، وأدوات الشرط مثل إذا، إن، من، ما، وأدوات الاستثناء مثل إلا، وغير، وسوى، وماعدا. ومثل هذه الأدوات تعمل ضمن قانون النحو، ففي العطف يكون حرفه بعد المعطوف عليه وقبل المعطوف، وفي أدوات الشرط، تكون أدواته بداية الجملة، ثم يأتي فعل الشرط وبعده يأتي الجواب، وأما أدوات الاستثناء، فتكون بعد المستثنى منه وقبل المستثنى في حال كان الاستثناء مكتمل الأركان، كما تلعب الإحالة دورا كبيرا في الربط، ومن أهم أدوات الربط الضمائر، حيث يعود الضمير على اسم قبله.

ويُطلق البلاغيون على الربط عنوان (الوصل)، و "عند أهل المعاني هو عطف بعض الجمل على بعض" (التهانوي، 1996م، ص 1793)، وفي إطار بعض المقاربات البلاغية، كان تركيز أبي هلال العسكري على أجزاء الكلام وعلى ظاهره لا على إيراد المعاني، حيث أنه يرى عذوبته وجزالته وسهولته، حيث يقول: "وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه... والخلو من أوَدِ النظم والتأليف" (العسكري،1952م، ص ص 57 و 58)، وعندما تناول موضوع الفصل والوصل، اقتصر على أجزاء الخطاب، حيث كان يستشهد على بعض أجزاء القصيدة لا جميعها، بل إنه كان يركّز على الفصل أكثر من الوصل[2]، وقد كان هذا الاتجاه خروجا عن دراسة الوصل دراسة نحوية، وجاء الجرجاني يسير على هذا الطريق، ولكنه ركّز على مسألة الوصل بشكل أفضل، حيث خرج "من دراسة الوصل دراسة نحوية معنوية تتقيّد بشروط معاني النحو إلى مجال آخر مداره على الفكرة والمعرفة" (الميساوي، 2012م، ص 19)، فتقوم نظريته على تصوّر المعاني والفكرة، ثم إجراؤها الألفاظ والتراكيب بحيث يتناسب المعنى مع القول، إضافة إلى ضرورة انتظام الألفاظ وملاءمة معناها لمعنى جارتها[3]، وهذا معنى النظم، فبعد اعتماد المعنى وجعله أساسا ومنطلقا للبحث عن الكلمات التي تناسبه، فإنه ينبغي وضع الكلام "الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت" (الجرجاني، 1997م، ص77)،

---

[1] انظر: المقتضب للمبرد 126/4.
[2] انظر: ما ذكره العسكري في الصناعتين الفصل الثاني فيما يتعلّق بالفصل والوصل، كتاب الصناعتين، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، 1952م، من ص438 إلى ص 451.
[3] انظر: الجرجاني، عبد القاهر، ص ص 52 و53 ، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1997م.

ISSN: 2706-6495

ومع تركيزه على الترابط بين الكلمات والعبارات، إلى أن النماذج التي سردها في كتابه (دلائل الإعجاز) لا تقوم على النظر إلى الخطاب المتكامل، فإذا ناقش آية، لا يرجعها لسياقها في السورة كاملة، وإذا ناقش بيتا من الشعر، لا يرجعه إلى القصيدة كاملة.

وعمل القرطاجنّي على مفهوم الربط أيضا ولكن بشكل يخرج عن إطار النظرة الجزئية للخطاب، فاشتغل على ذلك عبر النظر إلى بنية القصيدة ككل متكامل، حيث لا يقتصر مفهوم الترابط عنده "على مجال البيت الواحد وإنما تتعداه إلى ترابط الأبيات ترابطا شاملا" (الميساوي، 2012م، ص26)، ومع أن نظرته شمولية للخطاب، ومع أن الجرجاني ركّز بحثه على الخطاب القرآني ورأى "أن المعاني الجزئية التي تكوّن الخطاب لابد أن تشكل معنى كليا واحدا حتى تصير عملية الترابط مفيدة" 0 (الميساوي، 2012م، ص26)، إلا أنه -على حدّ علمي- لم تؤلف دراسة لترابط سورة من سور القرآن الكريم، بحيث يُنظر إليها كخطاب شامل متكامل، لا سيما إذا كانت السورة طويلة كسورة البقرة، إذ تتم تجزئة السورة إلى مقاطع تُفسر، كل مقطع على حده، وقد كان يفترض أن يتم تأطير الخطاب وتحديده، فـ "على محلل الخطاب دوما أن يقرر أين يبدأ المقطع وأين ينتهي" (براون، ج. ب. و يول، ج، 1997م، ص84)، وهذه التفاتة مهمة في دراسة الخطاب، ويمكن القول بأن القرآن الكريم، يمثل خطابات محددة، فكل سورة لها بداية ونهاية، حيث تبدأ بالبسملة، وتنتهي السورة قبل بداية البسملة في السورة التالية باستثناء سورة التوبة، حيث لا تبدأ بها[4].

1.1. أهداف البحث:

1- ملاحظة أثر تكرار المفردات في ترابط الخطاب القرآني.

2- ملاحظة مدى فاعلية تكرار المفردات ضمن سياقات مختلفة.

3- الاستعانة بالتكرار والترابط للوصول إلى المعاني الصحيحة للمفردة القرآنية.

4- بغية معرفة أثر تفسير السورة الواحدة ككل متكامل.

2.1. أهمية البحث:

تكمن أهمية هذه الدراسة، في إبراز قيمة دراسة السورة الواحدة ككل متكامل دون الاعتماد على الخطابات الأخرى، كالسور الأخرى فضلا عن الخطابات الحديثية والتفسيرية الأخرى، حيث سنعمل على تناول سورة البقرة، وهي أطول سورة في كتاب الله سبحانه، من جانب ترابطها، عبر ملاحظة السورة كوحدة واحدة، وعبر ملاحظة تكرار بعض الكلمات والعبارات والأفكار، لملاحظة مدى إسهام ذلك في ترابط السورة مع تشعب عناوينها، ولا توجد -على حد علمي- دراسة سابقة تناولت ذلك بهذا الشكل.

3.1. منهج البحث:

اعتمدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي، فعمدنا في دراسة الإشكالية بتحديدها عبر ما قيل فيها وما جرى عليها من تطوّر معرفي، ثم عرضنا الرأي الذي نراه صوابا بتقديم العديد من النماذج المؤيدة له.

---

4 انظر بحثنا: أثر التسوير في ضبط المفهوم القرآني (مقاربة سياقية، كلمة "القرآن" أنموذجا)، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، إصدار 53، 2023م.

2. العرض:

تمثل سورة البقرة أنموذجا لبقية السور من حيث الترابط، حيث إنها أطول سورة في كتاب الله، وتعالج الكثير من القضايا العقدية والأخلاقية والعبادية، وقد جاء استعراض هذه القضايا منتشرا على امتداد السورة، وفي الوقت نفسه، نرى نسيجا مترابطا من أول السورة إلى آخرها، وإن كانت حروف العطف أساسا في الانسجام لهذا النسيج، إلا أننا سنركز على الجانب المعنوي، حيث سنعمل على دراسة السورة عبر النظر إليها خطابا متكاملا، لا أن نعمل على رؤية السورة آية، أو قصة، أو موضوعا ، بل سنعمد إلى النظر إلى مدى انسجام جميع الآيات، وتداخلها مع بعضها، لتشكّل كتابا مترابطا من حيث المعنى، ومما يسهم في إيضاح هذا الأمر، تكرار بعض الكلمات متوزعة في السورة، وإذا أفاد هذا الحضور المتوزّع في الانسجام، فإن ذلك يجلّي المعاني المقصودة أيضا، وهذا هو الأهم في كل البحوث القرآنية.

ومما يمكن أن نطرقه في هذا المجال النماذج التالية:

الأنموذج الأول: لفظ الجلالة (الله).

تكررت بعض المفردات في سورة البقرة، فكان لها أثر كبير في ترابطها، ومن أبرز الكلمات ذات الحضور الكثيف، لفظ الجلالة (الله)، فقد تم ذكره أكثر من (280) مرة، فهذا اللفظ مسيطر بحضوره فكلما تم التطرق إلى موضوع جديد يكون حاضرا، فهو يشكل مرتكزا لكل المواضيع المطروقة، ولم يكن الاقتصار على لفظ الجلالة (الله) الذي يسهم في انسجام السورة من ناحية المعنى، بل هناك ألفاظ أخرى مرتبطة بلفظ الجلالة، وهي لفظة (رب) التي جاءت مرتبطة بضمير الغائب (20) مرة، ومرتبطة بضمير المخاطب (15) مرة، وبضمير المتكلم (11) مرة، كما أنه جاءت من دون اتصالها بالضمير مرتين، ومرة واحدة مع ياء المتكلم، فضلا عن تذييل بعض الآيات المرتبطة باسم من أسمائه سبحانه، ومن ذلك قوله تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ)، سواء بكسر همزة (إنّ) أو فتحها أو من دونها، حيث وردت في الآيات التالية: 20، 106، 109، 148، 259، 284، ونلاحظ توزعها في السورة بشكل لا تكون متركزة في جزء من السورة دون الجزء الآخر، كما نلاحظ بعض خواتم الآيات تذكر صفة من صفات الله أيضا وهي (عليم)، حيث تم ذكر هذه الكلمة مع مفردات مختلفة فقد جاءت في قوله تعالى: (بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)، في ثلاث آيات، وهي (29)، و (231)، و(282)، كما جاءت الكلمة مرتبطة بكلمة (واسع)، فجاء قوله (واسع عليم) في الآية (115)، و (247)، و(261)، (268)، وارتبطت بكلمة (سميع) نكرة أو معرفة (السميع) في عدّة مواضع، حيث جاء ذلك في الآيات : (127)، (137)، (181)، (224)، (227)، (244)، (256)، كما جاءت كلمة (عليم) أيضا في مواضع أخرى بحيث يكون مجموع ذكرها موزعة في السورة (21) مرة. ومن صفات الله سبحانه التي تم ختم بعض الآيات بها، صفة الحكمة، إذ ذُكرت سبع مرات في الآيات التالية: (32)، و (129)، و (209)، و (220)، و (228)، و (240)، و (260)، إلى غير ذلك من خواتم بعض الآيات التي ذكرت أسماء وصفات أخرى لله سبحانه، مما يسهم في إشباع السورة بذكر الله سبحانه وصفاته في آيات مختلفة، وهذا نوع من الربط المعنوي بين آيات السورة، ويمكن أن نلاحظ ذلك عبر توزُّع أسم الله وصفاته في مواقع مختلفة بين بداية السورة وحتى آخر آية منها.

الأنموذج الثاني: كلمة الكتاب.

وردت كلمة (الكتاب) في الآيات التالية: (2) و (44) و(53) و (78) و (79) و (85) و (78) و (89) و (101) و (105) و (109) و (113) و (121) و (129) و (144) و (145) و (146) و (151) و (159) و (174) و (176) و (177) و (178) و (180) و (183) و (231) و (235) و (285).

عندما نتأمل مواقع هذه المفردة في السورة، فإننا نلاحظ انتشارها من بداية السورة إلى نهايتها، فقد جاءت في الآية الثانية، وذكرت قبل الآية الأخيرة من السورة، وذكرت (28) مرة، مما يعني أن موضوع الكتاب وما يتعلّق به، يتحّرك في السورة من بدايتها حتى نهايتها.

لقد صرحت السورة بأن هذه السورة كتاب، واسمه (الٓمٓ)، فقد قال تعالى: (الٓمٓ (1) ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ (2)، ويمكن أن ننظر إلى ملامح هذا الكتاب عبر هذه الأحرف، فقد تم ذكر حرف (الألف أو الهمزة أو الكلمة) في السورة بما يزيد على 24200مرة، وذُكر حرف (اللام) بما يزيد على 13200مرة، وذُكر حرف الميم ما يزيد على 32150 مرة، وهذه الحروف الثلاثة، هي أكثر الحروف ذكرا في هذه السورة، مما يعني أنها سورة (الم)، فهذه الحروف تشكل رابطا قويا للسورة حيث تعتبر الوصلة الأقوى من الحروف في إنشاء كلمات هذه السورة.

تنتشر كلمة الكتاب الموزعة بين آيات السورة، بشكل يسهل على القارئ استحضار معناها أو ما يُفاد منها بعد ملاحظة سياقها، كما يضفي تكرارها إلى قوّة الترابط للسورة، ويمكن استعراض هذه المفردة عبر بعض سياقاتها كالتالي:

1- قوله تعالى في خطابه لبني إسرائيل: أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ [البقرة: 44]. تؤكد لنا الآية، بأن الكتاب الذي يتلوه بنو إسرائيل، يأمرهم بالبر، ويظهر ذلك من استنكار الله سبحانه لقبيح فعلهم أن يأمروا الناس بالبر وينسون أنفسهم، فقد علموا أن الجميع مأمور بالبر كما ورد عندهم في الكتاب الذي يتلونه، ولكنهم أمروا الناس به ولم يعملوا به.

2- قوله تعالى: وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ [البقرة: 53]، وهو خطاب لبني إسرائيل أيضا، والآية تصف الكتاب الذي أوتي موسى عليه السلام بالهادي وهو رفيق للفرقان الذي يعني الأمر باتباع النبي موسى القائد الذي يحمل الكتاب الهادي، حيث يفرق بين الحق وبين الباطل، فيأخذ المؤمنون بهذا الكتاب ويهجره غيرهم، فمن يأخذ به ينجو، ومن يتركه يضل، فقد قالت الآية (لعلكم تهتدون)، فالكتاب هو الهدى والقيم، والقائد هو النبي الذي يهدي بالكتاب إلى طريق الله سبحانه.

3- قوله تعالى: وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ¤ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ [البقرة: 78، 79]. لقد جاء ذكر الكتاب بعد (25) آية من الآية السابقة التي ذكرت الكتاب وهي الآية (53)، وكأن الآيات مثل النسيج الذي يلف على بعضه ذهابا وإيابا بشكل يبعث على استحضار الكلمة (الكتاب)، وهذا رابط معنوي مهم؛ لأنه متعلق بالعقل وفكر المتأمل في السورة، حيث تصبح هذه الكلمة علامة، تعود للقارئ كلما مرت عليه بضع آيات، وكأنها تقول، إني حاضرة في كل زوايا هذه السورة، وكأنها محور لها.

وقد جاءت الآية (78) في سياق تقسيم بني إسرائيل من ناحية تعاطيهم مع الكتاب المنزل على النبي، ومن هذه الأنواع: القاسية قلوبهم، وهم يسمعون كلام الله ويحرفونه[5]، والنوع الآخر هم (الأميّون)، الذين يعيشون مع الكتاب في حدود الظن، فليس لهم علم حقيقي بما بين أيديهم، وهم الطبقة المستضعفة علميّا، يظنون أن ما بين أيديهم علم الكتاب، وفي الحقيقة هم ينخدعون من قبل أولئك الذين يضلون الناس لمكاسب دنيوية.

[5] انظر الآيات من 74 إلى الآية 77.

4- قوله تعالى: ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: 85]. يعود الربط بهذه الآية بما سبقها، عبر العودة إلى ذكر الكتاب من جديد، ولكنّ هذه المرّة عبر مسألة الإيمان به، وقد أوضحت الآية أن مما جاء في الكتاب، هو حرمة إخراج الناس من ديارهم ظلما وعدوانا، أي من دون مبرر يشرّع ذلك، وتشير الآية (86) إلى أن هذا السلوك العدواني يعني اشتراء الحياة الدنيا بالآخرة، حيث يقول تعالى: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ)، وتبرز قضية أخرى تعضد الربط لهذه السورة، حيث ذكرت عدة مرات، وهي هذا الاشتراء، فقد جاءت في الآية (16) والآية (175)، بالهدى، وتتضافر كلمة (الاشتراء) لتأتي مرات عديدة ولكن في سياقات مختلفة كما في الآية (86) حيث اشتراء الحياة الدنيا بالآخرة، والنهي عن شراء آيات الله بالثمن القليل كما في الآية (41)، ثم تكرر هذا النهي بالتهويل لمن يشتري آيات الله بثمن قليل كما في الآية (79)، ثم تفصيل آخر في الآية (174) حيث التهديد لمن يكتم ما جاء من الحلال والحرام ابتغاء ثمن قليل كما جاء في الآية (174)، فنلاحظ أن الآيات مع اختلاف سياقاتها، تنسج حول بعضها المعاني المتداخلة بشكل يكون المعنى الجديد توضيحا أو إضافة جديدة وثيقة الارتباط مع بعضها، وهذا قوّة في الربط القرآني.

5- وتظهر من جديد مسألة الكتاب عبر التذكير بما جاء موسى (ع) وعيسى (ع)، من كتب[6]، ثم تبرز القضية مع آخر الكتب، هو الكتاب المنزل على محمد (ص) والإيمان به في قوله تعالى :(وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ [البقرة: 89]، وبهذا الطرح الجديد، نستحضر كل ما جاء عن الكتاب في الآيات السابقة، فالكلام يتجدد عن الكتاب، دون أن يكون تكرارا يبعث على الملل، إنما هو عودة على الكتاب ولكن في فكرة جديدة مكملة لما تدور حول السورة، والفكرة الجديدة -هنا- هي علم أهل الكتاب بصدق النبي محمد (ص) وبصحة الكتاب الذي نزل عليه؛ لأنّهم يرونه مصدّقا لما معهم، ففيه المواثيق، وفيه الأحكام نفسها وقد تم نسخ بعضها بما عند النبي محمد (ص)، ولكن مع علمهم بصدق الكتاب المنزل عليه، كفروا، ولم تكن هذه القضية عابرة، بل تم الكشف عن سبب كفرهم، ولكن ضمن نسيج آيات هذه السورة، فقد جاء توضيح السبب في قوله تعالى: بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ [البقرة: 90]، فأشارت الآية إلى الحسد عندهم، ويأتي التفصيل أكثر في الآية (105) حيث يقول تعالى: (مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [البقرة: 105]، فأشارت الآية إلى اجتماع الكفار من أهل الكتاب مع المشركين على عدم رغبتهم إلى أن يكون الخير (الكتاب) لغيرهم. بل إن الكفار من أهل الكتاب، يودون أن يرجع المؤمنون كفارًا حسدًا[7].

6- وتعود مسألة الكتاب مرّة أخرى بالكشف عن الجهل الذي يعيشه أهل الكتاب في قضية حسّاسة، وهي قضية تجهيل الآخرين، فقد قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ [البقرة: 113]، وتوضح الآية إلى أنّ الأمر واضح في الكتاب، ولكنّ إقصاء الآخر من الدين مع أنهم (علماء) يتلون كتاب الله، كان بأسباب منها الحسد، وقد اتبع الكثيرُ

[6] انظر الآية 87.
[7] انظر الآية 109.

من الناس الجاهلين بمسائل الكتاب الذي يذكر ما يأمر به وينهى عنه الله سبحانه، أولئك الرموزَ من العلماء، ثم بعد سبع آيات من الآية (113)، تأتي كلمة (الكتاب) بذكر من يعمل على الائتمار بأوامره بأنه المؤمن، وأن من يكفر به هم الخاسرون، فالله تعالى يقول: ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ [البقرة: 121]، ثم يتم استحضارها مرة أخرى في دعوة إبراهيم (ع)، إذ يقول تعالى على لسان نبيه: (رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ [البقرة: 129]، ونرى من خلال هذه الدعوة، الأهمية البالغة لتعليم الكتاب وما فيه من الحكمة، بل ونرى استمرارية موضوع الكتاب، فكأنه الأهم أولًا وآخرًا، فقد جاء للأقدمين، ثم جاء للمتأخرين، وكأن سورة البقرة تتمحور حول موضوع الكتاب وتعالجه من زوايا عديدة. وإذا وصلنا إلى قرابة نصف السورة، فإن النصف الآخر مليء بذكر (الكتاب) أيضا، فهذه الآية 144 والآية 145، والآية 146، ثم النقلة من الآية 146 التي تتحدث عن فريق منهم أنهم يكتمون ما جاء في الكتاب من الحق بعد أن كانوا مفضلين بنعمة وجوده (الكتاب) بينهم، حتى انتقل إلى أناس آخرين، وهم الذين جاءهم النبي محمد (ص)، إذ يقول تعالى: (كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ [البقرة:151]، ومن هنا نلاحظ تحوّل الخطاب إلى أتباع النبي محمد (ص)، وأن في الكتاب بينات وهدى، ولا يجوز كتمانهما، وأنّ ما تقدّم عبارة عن نماذج ينبغي الإفادة منها، ومن تلك البينات ما جاء من المحرمات، حيث قال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ [البقرة: 173]، فهذا من التبيين ولا يجوز كتمانه، فقد تحدد في الكتاب، أي في سورة البقرة، أن المحرمات هي: الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله، ونلاحظ بعض التفصيل، وهذا الحصر مرتبط بسورة البقرة فحسب، وكأنّ المعنى، إن المحرم عليكم في إطار ما تنازع حوله أهل الكتاب مما نذكره في سورة البقرة، هو هذه الأمور، ويدلّ على ذلك، أن هناك محرمات في آيات أخرى، وفي سور أخرى، فكان الحصر هنا ليخرج ما كانت تدعيه تلك الفئة من العلماء الذين يزيدون في التحريم، فالآية (173) تعالج أمرا محددًا مرتبطًا بهذه المحرمات الأربعة، وكأن هناك من حرّم أمورًا غير هذه الأمور، فتكون مخالفة للكتاب.

7- يعود ذكر كلمة (الكتاب) بالتهديد لمن يكتم ما أنزله الله سبحانه، حيث يقول تعالى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ [البقرة: 174]. ثم في الآية (177)، توضيح لمعنى (البِر) الذي مرّ ذكره في الآية (44) وهي قوله تعالى: (أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ) [البقرة: 44] فالآية (177)، تبيّن المعنى الدقيق لكلمة (البر) المقصود هنا، حيث قوله تعالى: (لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ [البقرة: 177]، ومع تفصيل معنى البر، إلا أنه جاء ليعالج قضية يناسب فيها هذا التفصيل، وهي أن هناك من يظن أن البر هو مسألة التوجه للمشرق أو المغرب كقبلة، فتذكر الآية خطأ هذا الظن، والحقيقة إنّ القضية الأساس في (البر) هي الإيمان بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه، وتم التركيز على هذا الجانب دون غيره؛ لأن السياق يعالج هذه القضية التي هي محل ابتلاء، فكثير كان يرى البر في اتجاه خاطئ، فكان دور الآيات هو التوجيه إلى الاتجاه الصحيح.

8- ثم بعد (54) آية، نرى ذكر الكتاب من جديد، فقد جاءت الآية تتحدَّث عن جانب من العلاقات الاجتماعية، فقد قال تعالى: (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ [البقرة: 231]، وترشد الآية إلى شيء من التعامل الاجتماعي العادل لا سيما مع العنصر النِسْوي، فهذا الكتاب الخاص بهذا التعامل، يمتد من الآية (221) إلى (242)، فهو كتاب عبارة عن بينات، يركز على بعض العلاقات الاجتماعية.

وهكذا نرى الترابط بين المعاني التي تُنسَج عبر كلمة (الكتاب) المنتشرة من الآية الثانية من السورة، إلى الآية قبل الأخيرة وهي قوله تعالى: (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ [البقرة: 285]، حيث تذكر إيمان الرسول والمؤمنين بالله سبحانه والملائكة وكتبه ورسله، ويلفتنا الجمع في كلمة (كتبه)، إذ تتمثل فيما أُنزل على من سبقه من الأنبياء، وعليه كذلك.

لقد لاحظنا أن كلمة (الكتاب) مثل الأداة التي تسهم في نسج المعاني، فما تمر بعض الآيات التي لا ذكر فيها لهذه الكلمة، حتى تعود مرة أخرى، وكأن السورة تتكلم عن مواضيع شتّى ولكنها ترتبط بهذه الكلمة.

الأنموذج الثالث: مشتقات الفعل (آمن).

ترتبط مشتقات الفعل (آمن) بكثير من المواضيع، فمع أن عدد ذكرها يصل إلى (56) مرة، إلا أنها تنسجم مع مواضيع تمتد مع امتداد السورة، فقد تم الاعتناء بهذا الأمر من بداية السورة، حيث يقول تعالى: (الٓمٓ ¤ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ¤ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ¤ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ¤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ¤ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ¤[البقرة:1 - 6]، فتأخذ هذه الآيات القارئ إلى رحلة إيمانية مع هذا الكتاب، حيث يكون هداية بشرط الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والإنفاق، ثم تؤكد الآيات على الإيمان بما أُنزل على محمد (ص) وبما أُنزل على من كان قبله، وأما في الآية التي تسبق الآية الأخيرة من السورة، فيأتي ذكر إيمان الرسول والمؤمنين، فقد قال تعالى: ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ [البقرة: 285] ونلاحظ في الآية أعظم إيمان، وهو إيمان الرسول، وهو الذي يسبق كل إيمان مرتبط بما جاء في الدين، ونرى بين بداية السورة وبين نهايتها، اكتساحا واسعا لموضوع الإيمان، فمع قلة عدد ذكر مفردة (آمن) ومشتقاتها نسبة إلى مفردات أخرى، إلا أن الكثير من المواضيع المختلفة في السورة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإيمان، وهذا الأمر يسهم في تقوية الترابط بين آيات السورة.

ويشكّل موضوع الإيمان مسألة خارجة عن إطار الماديات، فالإيمان مرتبط بأمور غيبية، فأول ما تم ذكره مع الإيمان هو الإيمان بالغيب، ومنه الذي أُنزل إلى الأنبياء من الكتب والوحي.

ويمكن أن نلاحظ هذا الأمر من زوايا عديدة عبر التعرض للآيات التالية:

1- قوله تعالى: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ [البقرة: 8] تتعرّض الآية إلى بعض الناس المخادعين، فتذكر أنهم يقولون كذبا أنهم مؤمنون ولكنهم في الحقيقة ليسوا كذلك، وتلقي الآيات بعدها الضوء على هذه العينة من الناس الفاسدة، فتقول: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ [البقرة: 13]، فهم يرون الناس سفهاء، والله يصفهم بأنهم هم السفهاء، فهم لا يؤمنون، وجهال ويسخرون من غيرهم،

وذلك لأن الأمر خارج عن حسابات المادة، ويرون من يؤمن بالغيب سفيها، ولنظرتهم الدونية إلى المؤمنين، فإن الله يصفهم بأنهم صفر في المعرفة، فهم من دون بصيرهم، قال تعالى: (مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰت لَّا يُبۡصِرُونَ ¤ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡي فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ¤ أَوۡ كَصَيِّب مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰت وَرَعۡد وَبَرۡق يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ¤ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡء قَدِير ¤ [البقرة: 17-20]، وهذه الصورة تمثل حال الكافرين، فهذا المثل الذي وصف تردي حالهم بسبب تسفيههم المؤمنين، ومحاولة خداعهم، ولله سبحانه أن يضرب المثل الذي يشاء، وقد قال تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلا مَّا بَعُوضَة فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيراۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ (26)، وتذكر هذه الآية أن المؤمنين يعلمون أن ما مرّ من مثل في الآيات السالفة (17، 18، 19، 20)، حق، فهم يرون تخبّط الكفار، وأن هذين المثلين ينطبقان عليهم، فهم (يَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ)، وفي المقابل فإن الكفار يمتعضون من هكذا تمثيل يصوّر حقيقتهم، فهم لا يتساءلون عن معناه، بل يعترضون لأنهم يتعرّون وينفضحون، فهم يقولون للمؤمنين أنهم مؤمنون مثلهم، وإذا بالآية تفضحهم، فجاء أسلوبهم اعتراضا، فصاروا يقولون: (مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاۘ)، وهكذا، ولو جاء الله سبحانه بأي مثل، كأن يصوّر مخلوقا صغيرا كالبعوضة، أو يصوّر ما هو أكبر منها، فيعلم المؤمنون أنه الحق، سواء كان المثل بالتشبيه بمثل البعوضة، أو ما فوقها وأعظم منها كالجبال والسموات والأرض، وأما الكفار، فهم في واد آخر، حيث يسفهون المؤمنين، ويسفهون ما لديهم من علم، ولذا لن ينفع معهم التمثيل، سواء كان بشيء صغير كالبعوضة، أو كان التمثيل بالذي هو أكبر ولو كان بحجم السماوات والأرض، فإنهم لا يقبلون به، ويظلون يلغون فيه ويرفضونه، فالأمر في هذه الآية لا يتعلّق بالبعوضة بقدر ما هو متعلّق بوصف أولئك الكفار الفاسقين، وما فيهم من غرور وخبث واستهزاء وتلاعب بالدين، حيث يتكلمون مع المؤمنين شيئا، ونرى مدى انسجام الآيات مع استعراض أنموذج حالة الكافرين في رفضهم لوصفهم، وفي المقابل، نرى قبول المؤمنين لذلك التمثيل، لعلمهم بمطابقته للواقع.

وإذا كان الغرور يسيطر على أولئك الكافرين، فإن الآيات تعمل على معالجة موضوعهم، عبر التحدّي بالإتيان بسورة كسورة البقرة، فيقول تعالى: وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡب مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَة مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ¤ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ¤[البقرة: 23-24]، فالتحدّي بالإتيان بسورة من مثله، ونلاحظ أن لفظة السورة (مؤنثة) وأن الضمير يعود لمذكر، وللوهلة الأولى، قد يقال: لم يكن التعبير بتأنيث الكلمتين أو تذكيرهما، فيكون التعبير بإحدى صيغتين: بسورة من مثلها، أو بكتاب من مثله؟ وتنتفي الإشكالية حين نعلم أن السورة هي الكتاب الذي تمت تسميته بـ (الم) بداية السورة، فالسورة هي كتاب، والكتاب هنا هو سورة البقرة. ويشمل التحدّي ما في هذه السورة من قيم وأحكام تنظّم حياة الناس، بحيث لا يمكن لهم أن يأتوا بمثلها. وهكذا يصف الله من خالف المؤمنين بأنهم كفار، وإذا لم يؤمنوا بالغيب، فالله يقول إن مصيرهم شيء من الغيب وهو النار، وفي المقابل تكون البشارة للمؤمنين حيث الجنات والنعيم[8].

2- قوله تعالى: وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۢ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنا قَلِيلا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ¤ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ [البقرة: 41-42]. تبرز الآية حقيقة وجود نسخة من التوراة تصدّق ما جاء

8 انظر الآية 25.

في القرآن الكريم، ولذا فإن أمرهم بالإيمان يقوم على وجود ما يصدّق ما بين أيديهم، وهذا يشكل حجة عليهم، والإيمان هنا ليس إيمانا بالغيب بقدر ما هو تجديد لإيمانهم السابق المبني على اعترافهم بالتوراة، وتبرز الآيات حقيقة التصديق بين الكتب، فالقرآن يصدق التوراة والإنجيل، ويمكن القول: إن القرآن نسخة متطابقة في الأحكام والمواعظ والعقائد وغير ذلك، مع التوراة ومع الإنجيل، وهذا هو المعنى الذي تشير إليه الآية، (وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) [البقرة: 42]، فالله يقول لهم (وأنتم تعلمون)، أي أنهم مطلعون على التوراة والإنجيل، وعند مقارنتهم لهما مع القرآن المنزل على محمد (ص)، سيجدون أنه نسخة أخرى كالنُسَخِ التي كانت تنزل على الأنبياء السابقين، إلا أن هناك نسخًا وتغييرًا في بعض الأحكام، وهذا هو السبب أن يطلب من أهل الكتب السابقة أن يسلموا لرسالة محمد (ص)، حتى يواكبوا التغييرات في مسألة النسخ.

3- قوله تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ [البقرة: 62] جاءت هذه الآية في سياق بعض المواقف التي أخفق فيها بنو إسرائيل، وخروجهم من ذنب إلى ذنب، فكانت الآية توصّف المؤمنين حقا، فهم من يؤمن بالله، واليوم الآخر، وهذا من الغيب، ثم ينعكس هذا الإيمان على السلوك الذي يمثل العمل الصالح.

4- قوله تعالى: ۞أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [البقرة: 75-76] تظهر هاتان الآيتان أن من يتعمّدون تحريف كلام الله، كتحليل الحرام أو تحريم الحلال، لن يؤمنوا، وهم يحاولون خداع المؤمنين بإظهار الإيمان لهم، وهذه فئة مؤثرة على الناس البسطاء الأميين، الذين ليس لهم في جانب العلم والمعرفة نصيب يؤهلهم للبت في القضايا الدينية، وقد نبهت الآيات إلى فعل هؤلاء المخادعين الذين يظهرون الإيمان أمام الناس، ولكنهم في الحقيقة يتاجرون بالدين، فقد قال تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ...(79)، فما يصنعونه ضد الإيمان، وهذا أسلوب يزيد من الترابط في الآيات؛ إذ يمتد موضوع الإيمان عبر الحديث عن ضدّه، فالحديث عن الإيمان والكفر موضوعان متصلان، حتى تأتي الآيتان (81) و (82)، لتذكرا نهاية الطريقين، فقد قال تعالى: (بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝ [البقرة: 81-82].

ويتواصل الحديث عن الإيمان ولكن من زاوية جديدة، ليتواصل الترابط في السورة، وهي زاوية توضّح بعض تصرفات من يتلاعب بالدين، فيجعل الإيمان له انتقاء، فيأخذ ما يناسبه، ويكفر بما لا يناسبه وبما لا يكون في مصالحه، فقد أُمروا أن يطبقوا الميثاق المأخوذ عليهم والمذكور في الكتاب كاملا، ومما جاء في الميثاق: عبادة الله وحده، والإحسان للوالدين، وكذا ذي القربى، واليتامى، المساكين...[9]، ومن ذلك أيضا الحفاظ على حرمة الناس، ومع وضوح هذا الميثاق، إلا أنهم كانوا يطبقون ما يرونه مناسبا لهم كالصلاة مثلا، ولكنهم قد لا يحسنون للوالدين، ولا يعطفون على الضعفاء من الناس، بل إن بعضهم عاث في الأرض فسادا حتى جاهر بضرب ميثاق الله سبحانه، فصار يهجّر الناس من مكان إقامتهم، ويقتل ويسفك الدماء، وقد صرحت الآيات بذلك، فالله تعالى يقول: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ۝ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ

[9] انظر الآية 83.

تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡض) [البقرة: 84-85]، وقد تم الإخبار عن الإيمان الزائف لهؤلاء بأنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويتتالى ذكر موضوع الإيمان في التصعيد ضد الكافرين بفضح أفعالهم التي وصلت إلى تكذيب الرسل أو قتلهم، وهذا دليل على عدم إيمانهم، قال تعالى: (أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقا تَقۡتُلُونَ ¤وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلا مَّا يُؤۡمِنُونَ [البقرة: 87-88]، فنلاحظ هذا النسيج المترابط بشكل منظم ومتسلسل في الموضوع، وهذا يدفع باتجاه الترابط.

وينتج عن هذا الترابط والانسجام، ضبط معاني بعض الآيات التي قد تكون غير واضحة للوهلة الأولى، ومن ذلك، معنى قوله تعالى: (أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡض) [البقرة: 85]، إذ نرى معناها في قوله تعالى: (وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ [البقرة: 91]، فيكون إيمانهم بما لديهم من التوراة، ولكنهم يكفرون بالقرآن الكريم، فهم يبحثون عما يناسب هواهم، ثم تفنّد الآيتان التاليتان إيمانهم المدَّعى، فأفعالهم مخالفة لما يدعون من إيمان، قال تعالى: (وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ¤ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّة وَٱسۡمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ قُلۡ بِئۡسَمَا يَأۡمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ [البقرة: 92-93].

ويستمر الحديث عن الإيمان، وينتقل من الإيمان الهش الذي كان فيه بنو إسرائيل عندما خالفوا موسى، إلى الإيمان القوي بالكتاب المنزل على محمد (ص)، فالحديث يأخذ القارئ من الحديث عن الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، إلى الافتراض أن يكون الإيمان بالكتب جميعا، فهذا الكتاب (القرآن الكريم) لما معهم[10]، ويستمر الحديث عن الإيمان في الآية (121) حيث تبين العلاقة الصحيحة بين المؤمن والكتاب، وهي التلاوة الحقة التي تعني بتطبيق ما في الكتاب[11] من ميثاق وحكم وعبادات، ثم يتواصل الموضوع بدعاء من النبي إبراهيم (ع) للمؤمنين بالله واليوم الآخر كما في الآية (126).

5- وبعد آيات قليلة يتوجه الخطاب لأهل الكتاب، وهو الخطاب الفصل في مسألة الإيمان، حيث قال تعالى: (وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ¤قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَد مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ¤ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ [البقرة: 135-137].

6- ويتواصل الحديث عن الإيمان ولكن هذه المرة مع من اتبعوا النبي محمد (ص)، قال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ [البقرة: 153]، أي أنّ هؤلاء الاتباع المؤمنين، سوف يواجهون الكثير من المتاعب، وعليهم الصبر، ويتسلسل الحديث عن المؤمنين وعمن يقف ضدهم في الآيتين (165و 166)، فتخبر الآيتين عن حب المؤمن لله الحب الشديد، بينما يحب الكافرون أندادا لله، وهم بشر مثلهم، ودلّ على ذلك قوله تعالى: (إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ [البقرة: 166]، فقد كان تبرؤهم بسبب أن جعلوهم أندادا لله سبحانه.

[10] انظر الآية 99 إلى 101.

[11] انظر الآية 44 ، حيث تلوم من يتلو الكتاب فيأمر الناس بالبر وينسى نفسه، مما يعني أنه ليست هذه التلاوة المطلوبة، إنما تطبيق ما يقرأ من القرآن حتى تكون التلاوة الحقة.

ISSN: 2706-6495

7- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [البقرة: 172]. لقد انتقل الحديث عن إيمان بني إسرائيل إلى الحديث عن أتباع النبي محمد (ص) بسلاسة، وكان نقلا لتجربة مع توجيه إلهي لتكون مسيرتهم سليمة، وكان من ضمن هذه التوجيهات هو تبيين الحلال والحرام في الأكل، فالنداء (يا أيها الذين آمنوا)، خطاب للمؤمنين، وبعد أن تم التوجيه بالأكل من الطيبات، تم تحديد المحرّمات عليهم، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: 173]، فما عدا ذلك لا يكون حراما ما لم يتم ذكره في سورة أخرى.

ثم يتم التطرّق إلى الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والأنبياء، وأن هذا هو أساس البر، وليس أن يكون الشغل الشاغل في أن تكون القبلة تجاه المشرق أو المغرب، فمسألة الإيمان أساس يجب البدْء به.

ويتوالى الخطاب للمؤمنين، ليزداد ترابطا، وكأن الخطاب ينتقل من آية لآية حتى ينصب تركيزه على مخاطبة المؤمنين، حيث قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾[البقرة: 172] ثم قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ﴾[البقرة: 178]، ثم الخطاب في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾[البقرة: 183] ثم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾[البقرة: 208] وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم﴾[البقرة: 254] ثم في الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾[البقرة: 264]، ثم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ﴾ [البقرة: 267]ثم الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[البقرة: 278]، وهكذا نلاحظ كثافة الخطاب بـ (يا أيها الذين آمنوا)، ومما فيه، الكثير من البينات ذات العلاقة بحلال الطعام وحرامه، ثم ما يتعلق بالقصاص، والوصية، ثم ما يتعلق بالصيام وأحكامه، وكذلك الدخول في السلم كافة، والإنفاق من الكسب الحلال، والابتعاد عن الربا، وعدم المنّ والأذى، ومع اختلاف هذه المواضيع، فإن الرابط لها هو الخطاب، فكلما انتهى خطاب، جاء خطاب بموضوع آخر، ولكنّ جميع ذلك في اتجاه الذين آمنوا، وهذا كفيل بأن يجعل النسيج القرآني مترابطا.

الأنموذج الرابع: الصلاة.

تلقي كلمة (الصلاة) بظلالها على أرجاء سورة البقرة، مما يسهم في ترابط آياتها، فقد ذُكرت في الآية (3)، كما ذُكرت في الآية (277)، فكانت بدايات السورة تعالج مسألة إقامة الصلاة عند بني إسرائيل، وفي نهاياتها كان الكلام عن إقامة الصلاة مع أتباع النبي محمد (ص).

ذُكرت مفردة (الصلاة) قرابة عشر مرات، ومع قلة ذكرها مقارنة مع بعض الكلمات الأخرى في السورة، إلا أن موضوعها يرتبط بعناوين عديدة واسعة الانتشار في السورة، مما يعني أن تلك العناوين، تكون ضمن إطار نسيج السورة المترابط والمنسجم مع بعضه ويؤكد على ارتباط العناوين المختلفة مع بعضها، ومن ذلك ارتباط الصلاة بـ (الإقامة) كما أن إقامة الصلاة مرتبط بالإنفاق، فغالبا ما يتم ربط إقامة الصلاة بالإنفاق أو إيتاء الزكاة، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]، وقد تكررت هذه العلاقة في الآيات التالية: (43)، (83)، (110)، (177)، (277)، وعبر هذا التكرار، نرى الانتشار في أرجاء السورة، فقد تم ذكر هذه القضية بداية السورة، وكذا في آخرها وفي وسطها، مما يعني الاستمرار في الحديث عن الموضوع، ومما يعنيه ذلك، أن السورة مترابطة مع ترامي أطرافها، ثم نلاحظ أثر إقامة الصلاة، ومن ذلك إيتاء الزكاة الذي يتمثل بالإنفاق وما خلفه من التأثير النفسي الإيجابي للمنفق.

وعندما نربط الزكاة عبر مفردة (الإنفاق) بإقامة الصلاة، سنجد دفعا للترابط في السورة، فقد وردت هذه المفردة في الآيات التالية: (3) (195) (215) (219) (254) (261) (262) (264) (265) (267) (279) (272) (273) (274)، وإذا نظرنا إلى ترابط هذه القضايا الثلاث (إقامة الصلاة، إيتاء الزكاة، الإنفاق)، سنلاحظ أن من أهم نتائج هذا الترابط، هو فهم بعض التفاصيل، فمثلا عندما نسأل عن تفاصيل موضوع الإنفاق:

على من يكون الإنفاق؟

الجواب: قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ [البقرة:215].

وعندما نسأل: ما الذي يُنفق؟

الجواب: ما كان زائدا عن الحاجة والمؤونة وما يُحتاج إليه، قال تعالى: (وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ [البقرة: 219].

يُضاف إلى ذلك ألا يكون منٌّ في الإنفاق، وأن يكون من الكسب الطيب، إلى غير ذلك، وكل هذا يعود إلى مسألة إقامة الصلاة، حيث ارتباط الزكاة والإنفاق بإقامة الصلاة.

وتؤثر الصلاة وما فيها من قيام بين يدي الله سبحانه في نفس المصلّي، فقد قال الله سبحانه: وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ¤ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ [البقرة: 45-46]، فهي خير معين على مواجهة الخوف أو ما قد يؤدي إلى الموت، ويتضح المعنى عندما نلاحظ تكرار الآية ولكن من جانب يوضح أهمية الاستعانة بالصبر والصلاة، حيث قال تعالى: يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ [البقرة: 153]، وتكرار هذا الأمر إشارة إلى انسجام الموضوع في الآيات التي جاءت الآية رقم (45) في سياقها، مع الموضوع في الآيات التي جاءت في سياقها الآية رقم (153).

وتم التوكيد على أهمية الحفاظ على الصلاة، أي ينبغي أن نحافظ على أدائها، ونجد ذلك في قوله تعالى: (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ¤ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ [البقرة: 238-239]، فإذا كان في الآيات السابقة توكيد على (إقامة الصلاة)، فهو توكيد على حفظها بشكل خاص، فالمطلوب هو الحفاظ على الصلاة، وهي الفرائض الخمس، ثم تُذكر ركيزة مهمة فيها وهو التوسّط في أدائها، ويعني الصلاة من قيام مصحوبا بالخشوع، وهذا معنى (الصلاة الوسطى)، ويؤكد هذا المعنى، الاستئناف في قوله (فإن خفتم...)، أي أنتم تصلون صلاة متوسطة معتدلة بالقيام والركوع والسجود والقنوت، فإن خفتم فصلوا رجالا أو ركبانا.

لقد لاحظنا أن تكرار كلمة (الصلاة) مؤثر في ترابط آيات السورة بارتباطها بالعديد من المواضيع، كما أنّ ذلك يسهم في إيضاح الجوانب المختلفة للآيات التي قد لا يكون معناها واضحا لو لم يكن هذا التكرار وهذا الترابط.

الأنموذج الخامس: النعمة.

لقد تم ذكر النعمة تسع مرات، ومع هذا العدد القليل، إلا أنها (النعمة) وثيقة الارتباط بمواضيع عديدة، لا سيما إذا علمنا أن المقصود من النعمة هي الوحي المنزل على الأنبياء، وهو الكتاب وما فيه من بينات وموعظة، حيث إن هذه المواضيع منتشرة بشكل كبير في السورة، ويمكن استعراض بعض جوانب ما يتعلّق بـ (النعمة) باستعراض الآيات التي تم ذكرها فيها:

1- قال تعالى: يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ[البقرة: 40]. تبدأ هذه الآية بإطلاق مصطلح (النعمة) على ما تم إنزاله على بني إسرائيل، وقد عاهدوا الله على أن يلتزموا بذلك المنزل،

وجاء ذلك صريحا في قوله تعالى (41): (وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقا لِّمَا مَعَكُمۡ)[البقرة: 41] أي أن (القرآن الكريم) المنزل على محمد (ص) الذي يصدّق أي ما عندكم من التوراة والإنجيل، هو نعمة كتلك التي نزلت عليكم، فوجب على أهل الكتاب الإيمان بالقرآن الكريم، ويتواصل الترابط في الموضوع، ويتعالج الآية التالية مسألة الحفاظ على هذه النعمة عن طريق صونها بعدم إدخال إلباسها بالباطل، سواء عن طريق نصوص أخرى قد تكون مكذوبة، كبعض الأحاديث، إذ تُحاط بقداسة كبيرة عند المتدينين، ويرونها قرينة للقرآن الكريم، فيلبسونها به، وفي ذلك قال تعالى: (وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ [البقرة: 42]، وما زال الكلام مع أهل الكتاب، وقوله تعالى: (وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)، أي أنهم كانوا ينظرون إلى ما أنزل على النبي محمد (ص)، ويطابقونه مع ما عندهم، ويرون أن الذي أنزل ما عندهم من الكتاب، هو الذي أنزل ما عند النبي محمد (ص)، وهذا علم عندهم، أي أن الحجّة قائمة عليهم، وسوف يعاقبون عند المخالفة.

2- قال تعالى: يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ [البقرة: 47]. تمت معاودة مخاطبة بني إسرائيل مرة أخرى، ونلاحظ أن الإضافة في هذه الآية، أن تفضيل بني إسرائيل على العالمين، هو تفضيل وتشريف تكليف، لا أن عنصرهم أفضل من غيرهم، أي أن الله فضلهم بإنزال الكتاب عليهم، وهذا لا يزيدهم حسنات، لا ينقصهم سيئات، إنما يؤول الأمر إلى مدى إيمانهم وتصديقهم بما أنزل على أنبيائهم وما أُنزل على النبي محمد (ص)، بل إن هذا التفضيل يجعلهم أول من يكون عرضة للمساءلة أمام الله سبحانه؛ لأن الحجة قائمة عليهم قبل غيرهم، ولذا قال تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡما لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡس شَيۡـٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَة وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡل وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ [البقرة: 48].

3- قال تعالى: يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ[البقرة: 122]. نلاحظ تطابق هذه الآية مع الآية (47)، ولكن السياق يختلف، أما السياق في الآية (47)، فكان في مقام التهديد والتذكير بالمنزل وأنه نعمة عليهم شكرها، وذلك لأنهم تلاعب بعضهم فيها، وألبس الحق بالباطل، وأما الآية (122)، فقد جاءت في سياق بعض الأفكار المنحرفة لبني إسرائيل ولكن بشكل أكبر، حتى إن بعضهم قال إن لله ولدا سبحانه، وطالب بعضهم أن يكلمهم الله، ورفضوا رسالة النبي محمد (ص)، وقد أرسله الله من أجل أن يبشر المؤمنين به، وينذر أولئك المنحرفين عنه، وقد أخبر الله نبيه أنه لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مع علمهم بأحقية ما جاء به النبي (ص)[12]، ثم جاءت الآية (122)، أي في سياق التحذير الشديد، حيث أوغلوا في الانحراف، حتى تم تهديدهم في الآية (123)، إذ يقول تعالى: (وَٱتَّقُواْ يَوۡما لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡس شَيۡـٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡل وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَة وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ [البقرة: 123].

4- ويعود الحديث عن (النعمة) في إطار مختلف، فجاء ذكر ذلك في الآية (150) ثم الآية (211)، ثم يأتي قوله تعالى: وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوف وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُواۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيم [البقرة: 231]، فالآية تشير إلى أن من نعم الله على الناس أن جعل لهم نظاما اجتماعيا يتمثّل في حلّ جانب من المشاكل التي قد يتعرض لها بعض الأزواج، وأن هذا من النعم التي أنعم الله بها على الناس، وأن هذه النعمة مما أُنزل على الناس، فهي من الكتاب، وهي من الحكمة، وهي موعظة، وهذا ينصبّ في إطار التقوى، ومخالفة ذلك خلاف للتقوى، أي أن من يخالف هذه النعمة ويحاول إلحاق الضرر بالنساء، فإنه يتعدّى حدود نظام اجتماعي قد أرساه الله سبحانه،

[12] انظر الآيات: من 112- 120.

فعودة موضوع النعمة في هذه الآية، يزيد من ترابط الآيات، فهذه الآية تعيد إلى ذهن قارئ السورة إلى موضوع النعمة الذي تكرر عدة مرات، ويصبح جزءا فاعلا في ربط نسيج السورة.

3. الخاتمة.

لاحظنا تأثير تكرار بعض الكلمات في السورة على انسجام الآيات مع بعضها، وكذلك على توضيح الجوانب المتعددة لهذه الكلمة أو تلك، وهذا يلقي بظلاله على الارتباط بين آيات السورة، ويمكن أن نستخلص من كل ما تقدّم ما يلي:

1- يؤثر تكرار المفردات في توثيق الترابط.

2- يؤثر تكرار المفردات ضمن سياقات مختلفة في توضيح المعاني الأخرى لها.

3- يفيد حضور كلمة (الكتاب) أن نسخ الأنبياء قريبة من التطابق في الأحكام والعبادات والمواعظ، وكل كتاب يأتي مصدقا لما قبله من الكتب حتى جاء القرآن مصدقا لما قبله من الكتب.

4- يمثّل تفسير السورة الواحدة، بالنظر إليها ككل متكامل، الطريقة المثلى لفهم كتاب الله، خلافا للتفسير الذي يقوم على تجزئة السورة وتفسير كل جزء على حدة.

5- تشتمل سورة البقرة على الكثير من المواضيع، وهي شديدة الوثاقة فيما بينها.

4. التوصيات:

يمكن تقديم بعض التوصيات في إطار بحث الربط والترابط في القرآن الكريم كما يأتي:

1- أن يتم العمل على دراسات كثيرة تعتمد على استقلالية السورة دون الاعتماد على خطابات خارجة عنها.

2- الإفادة من الدروس اللغوية الحديثة في تفسير القرآن الكريم بحيث تكون كاشفة ومساعدة على فهمه، لا أن يُحمَّل مالا يحتمل.

3- الإفادة من البحوث اللغوية المرتبطة بالسياق والربط والترابط في فهم المقصود من السورة.

4- محاولة ضبط معاني المفردات القرآنية والخروج من مسألة تعدد المعاني الذي لا يمكّن القارئ من فهم المعنى بشكل واضح.

5- أن يُعطى تكرار مفردات الخطاب القرآني أهمية كبرى والإفادة منه لفهم المعنى بشكل دقيق ضمن وحدة السورة.

والحمد لله رب العالمين.

2024-2-24م

د. غازي آل مشهد

5. المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1- براون. ج.ب، و يول.ج، تحليل الخطاب، ترجمة وتعليق: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع- جامعة الملك سعود، الرياض، 1997م.

2- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج2، تحقيق: رفيق العجم، وعلي دحروج، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، 1996م.

3- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، 1997م.

4- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1952م.

5- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، ج4، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، الطبعة الأولى،1994م.

6- الميساوي، خليفة، الوصائل في تحليل المحادثة- دراسة في استراتيجيات الخطاب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- شارع الجامعة، الطبعة الأولى، 2012م.

المواقع الإلكترونية:

7- آل مشهد، غازي جاسم، أثر التسوير في ضبط المفهوم القرآني (مقاربة سياقية، كلمة "القرآن" أنموذجا)، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، العدد 53، 2023م.

جميع الحقوق محفوظة © 2024، الدكتور/ غازي جاسم آل مشهد، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي

(CC BY NC)

Doi: https://doi.org/10.52132/Ajrsp/v5.59.4